



الرَّبْطُ وَأَثْرُهُ الدَّلَالِي فِي شِعْرِ أَبِي إِسْحَاقِ الْإِلْبِيرِيِّ دراسة لغوية

م. م. إيمان محمد خلف مرهاش النمراوي¹، أ.د. سليمان شهيد معوض²

¹ المديرية العامة لتربية محافظة الأنبار - العراق

² تدريسي في جامعة الجنان طرابلس - لبنان

menaharon567@gmail.com

dr.sleimanmouawad@hotmail.com

ملخص. تحظى نظرية الحقول الدلالية بأهمية كبيرة لدى العلماء والدارسين كونها تهتم بدراسة العلاقات الدلالية والتفاعلات اللغوية داخل النصوص والخطابات. وتُعَدُّ هذه النظرية من النظريات المهمة في مجال اللغويات التطبيقية. تقوم نظرية الحقول الدلالية على فكرة أنَّ اللغة والخطاب يشكّلان مجالاً دلاليًا يتكوّن من مجموعة من الكيانات الدلالية والعلاقات بينها. وهدف هذه النظرية هو فهم التفاعلات الدلالية والدلالات الضمنية والتركيبية في النصوص وتحليلها بصورة منهجية ومنظمة. يهدف هذا البحث إلى تقديم نظرة عامة عن نظرية الحقول الدلالية في اللغة العربية وفهم مفهومها وأهميتها في فهم اللغة والنصوص العربية. وستتم مناقشة المفاهيم والمصطلحات المرتبطة بهذه النظرية. وسنبيّن تطبيقها في شعر الإلبيريّ من خلال النصوص الشعرية التي سنتناولها بالتحليل على وفق معطيات النظرية.

الكلمات المفتاحية: الحقول الدلالية- الإلبيريّ- أبو إسحاق- اللسانيات- العلاقات الدلالية- السياق- المعنى- الخطاب- النصوص.



Abstract. The theory of semantic fields is of great importance to scholars and researchers because it is concerned with studying semantic relationships and linguistic interactions within texts and discourses. This theory is considered one of the important theories in the field of applied linguistics. The theory of semantic fields is based on the idea that language and discourse constitute a semantic field consisting of a group of semantic entities and the relationships between them. The aim of this theory is to understand semantic interactions and implicit and structural meanings in texts and analyze them in a systematic and organized manner. This research aims to provide an overview of the theory of semantic fields in the Arabic language and to understand its concept and importance in understanding the Arabic language and texts. The concepts and terms associated with this theory will be discussed. We will demonstrate its application in Al-Ilbiri's poetry through the poetic texts that we will analyze according to the data of the theory.

Keywords: Semantic fields - Al-Ilbiri - Abu Ishaq - Linguistics - Semantic relations - Context - Meaning - Discourse - Texts.

مُقَدِّمَةٌ

يأتي الرِّبْطُ اللُّغَوِيُّ عَلَى رَأْسِ قَائِمَةِ اِهْتِمَامَاتِ الدَّرْسِ اللِّسَانِيِّ الْحَدِيثِ لِمَا يُنَاطُ بِهِ مِنْ مَهَامِّ أُصِيلَةٍ فِي عَمَلِيَّةِ التَّاطِيرِ لِعَلَّاقَاتِ أَجْزَاءِ النَّصِّ بِبَعْضِهَا، وَرَدَّ بَعْضُ عَنَاصِرِ الْخِطَابِ مِنَ التَّرَاكِيْبِ وَالْأَسَالِيْبِ الْمُسْتَعْمَلَةِ فِيهِ عَلَى بَعْضِهَا، فَتَتَكَوَّنُ لَدَيْنَا مِنْ خِلَالِهِ تِلْكَ الصِّلَةُ الْوَثِيقَةُ الَّتِي تُهَيِّئُ لِلنَّصِّ مَنَاحًا مَلَائِمًا لِقِرَاءَتِهِ وَفَهْمِ مَغَازِيهِ وَتَحْرِيرِ مَفَاهِيمِهِ الْمَرْجُوعَةِ مِنْهُ.

وَتَقُومُ عَمَلِيَّةُ الرِّبْطِ بَيْنَ عَنَاصِرِ الْخِطَابِ الَّتِي تُشَكِّلُهَا التَّرَاكِيْبُ النَّحْوِيَّةُ عَلَى عَدَدٍ مِنَ الظَّوَاهِرِ اللُّغَوِيَّةِ وَالتَّرَكِيْبِيَّةِ يُمَثِّلُهَا فِي النَّصِّ الرِّبْطُ بِأَحْرَفِ الْعَطْفِ، وَبِالضَّمَائِرِ، حَرْفِ الْاِسْتِدْرَاكِ لَكَّنْ، وَحُرُوفِ الْاِسْتِنْفَافِ، وَبَعْضِ الْأَسْمَاءِ كَالْمَوْصُولَاتِ وَأَسْمَاءِ الْإِشَارَةِ، وَمَا إِلَى ذَلِكَ مِمَّا يُؤَدِّي فِي الْإِحَالَةِ بِهِ عَلَى سَابِقٍ أَوْ لِأَحَقِّ مُؤَدَّاهُ فِي الرِّبْطِ اللُّغَوِيِّ وَالدَّلَالِيِّ فِي آنٍ مَعًا.

وَالْغَايَةُ مِنْ إِعْمَالِ بَعْضِ الْأَدْوَاتِ وَالْوَسَائِطِ اللُّغَوِيَّةِ فِي هَذَا الصَّدَدِ مَعْلُومَةٌ لَا تَخْفَى، فَلَيْسَ ثَمَّةَ مِنْ طَرِيقٍ آخَرَ فِي اللُّغَةِ يُؤَدِّي إِلَى مَزْجِ عَنَاصِرِ الْخِطَابِ النَّصِيَّةِ بَعْضِهَا مَعَ بَعْضٍ، وَإِجْمَالِهَا فِي نَسِيْجٍ وَاحِدٍ مَسْبُوكٍ الصَّنْعَةِ مَحْبُوكِ الْبِنَاءِ سِوَى هَذِهِ الْأَدْوَاتِ، إِذْ لَوْلَاهَا لَصَارَ الْخِطَابُ فِي النَّصِّ أَشْلَاءَ



يسيرُ كلُّ تركيبٍ من تراكيبه المُكوِّنة له في طريقٍ، ويؤدِّي وظيفته مُستقلَّةً عن وظيفةٍ غيره من التراكيب الأخرى.

وإنَّ بينَ السِّبكِ والحَبكِ النصِّي الذي هو من لوازم استقامة الخُطابِ وضروراتِ إحكامِ نَسجهِ، وبينَ التَّشظيِّ الذي قد يَنْتجُ عن ضَعْفِ الكَاتِبِ في تَوْظيفِ الروابطِ فرقًا بيِّنًا، ولأنَّ الرِّبْطَ وسيلةً أساسيةً تحملنا من النَّظَرِ القاصرِ إلى الجُمْلَةِ لِنَقُلْنَا إلى تَسْلِيْطِ الضَّوِّ عَلى عَمومِ النَّصِّ، بَدَتِ المَسَاعِي اللِّسَانِيَّةُ تَأخُذُ سَبِيلَهَا نحوَ العنَايةِ بِهِ.

أهمية الموضوع وأسباب اختياره:-

1- تتأتى أهمية الربط ودلالاته من تتبع المعايير النصية اللغوية التي عبّر عليها علماء اللغة النصية.

2- البحث عن الدلالات النصية من خلال وسائل الربط المعروفة، وكيفية التعامل معها في بناء النص اللغوي؛ بغية الوصول إلى رؤية موضوعية في التعامل مع النص الشعري؛ حيث كثافة طاقة بعض النصوص الشعرية لهذه المدونة دعنتي إلى توظيفها في أكثر من تقنية خلال أدوات الربط المختلفة.

وقد اقتضت طبيعة الموضوع أن تُقسَمَ الدراسة إلى مَقَدِّمة، وتمهيدٍ، وأربعة مباحثٍ، متبوعةً بالخاتمة، وثبت المصادر والمراجع.

أولاً: التمهيد : التعريف بالشاعر : اسمه ونسبه

المَبْحَثُ الأوَّل: الرِّبْطُ الإِضَافِيُّ فِي شِعْرِهِ

المَبْحَثُ الثَّانِي: الرِّبْطُ العَكْسِيُّ .

المَبْحَثُ الثَّالِثُ الرِّبْطُ السَّبْبِيُّ.

المَبْحَثُ الرَّابِعُ الرِّبْطُ الرَّمْنِيُّ.

الدراسات السابقة :-

هناك دراسات سابقة تناولت ديوان أبي إسحاق الإلبيري وشعره، لكن تلك الدراسات بعيدة كل البعد عن موضوع بحثي المنوط بـ" الرِّبْطُ وأثره الدِّلالي في شعرِ أبي إسحاق الإلبيري دراسة لغوية" ومن أمثلة تلك الدراسات:



- (1) أبو إسحاق الإلبيري حياته وشعره، رسالة ماجستير (مخطوط)، إعداد الباحث: ميرغني الطاهر أحمد الفكي، نوقشت في جامعة أم درمان الإسلامية، 2007م.
- (2) التجربة الزهدية بين أبي العتاهية وأبي إسحاق الإلبيري دراسة موازنة، رسالة ماجستير (مخطوط)، إعداد الباحث/ محمود لطفي نايف عبد الله، ونوقشت في جامعة النجاح الوطنية، نابلس، فلسطين، 2009 م، وهذه الدراسة لا تمس علم اللغة النص، ولا تفي بما تصبو إليه الدراسة الرأهنة، فهي دراسة أدبية.
- (3) ظواهر التركيب في ديوان أبي إسحاق الإلبيري الأندلسي، دراسة نحوية دلالية، رسالة ماجستير (مخطوط)، إعداد الباحث/ مروان أكرم أحمد، نوقشت في كلية الآداب، جامعة المنصورة، 2014م.
- منهج البحث:

وقد سلك هذا البحث في سياقه المنهج الوصفي التحليلي؛ حيثُ توصف من خلالها الظاهرة النصية، ثم تحليلها في مختلف العلاقات الداخلية في مستويات الربط المختلفة، وشرح المظاهر المتعددة لأشكال الربط باستخدام اللغة وبيان التأثيرات التي تحدثها النصوص في المتلقين؛ لتحقيق التماسك النصي فيه، والتعامل مع النص الأدبي بوصفه نصًا متماسكًا، حتى بان نص أبي إسحاق الإلبيري شبكة متناسقة، متمازجة، مؤدية بذلك الوظيفة الاتصالية بأحسن ما يكون، ومحقة المقبولية لدى المتلقي.

التمهيد: التعريف بالشاعر

اسمه ونسبه:

هو أبو إسحاق إبراهيم بن مسعود بن سعد التجيبي (ابن الأبار، 1995م، 1/118-119)، نُسب إلى البيرة (البيرة: من كور الأندلس، جليلة القدر، نزلها جندٌ من دمشق من العرب وكثير من موالى الإمام عبدالرحمن بن معاوية، وهو الذي أسسها وأسكنها مواليه، ثم خالطهم العرب بعد ذلك. وكانت البيرة من قواعد الأندلس الجليلة والأمصار النبيلة، فخربت في الفتنة، ينظر: (الحميري، 1975م، ص 28_29. والحموي، 1993م، 1/244)، فقيل له: أبو إسحاق الإلبيري، ونُسب إلى غرناطة (غرناطة: مدينة في نهاية من الحصانة؛ ومملكتها إلى الجنوب والشرق من قرطبة؛ وبين غرناطة وقرطبة نحو خمسة أيام وهي في نهاية النزاهة، ولها قلعة عالية شديدة الامتناع، ينظر: الحموي، 1993م، 2/371-372)..



وفى نسب أبي إسحاق الإلبيري أنه تحيبي من اليمن من (تُحيب)، وقد ذكر ابن حزم في جمهرة أنساب العرب أن ديار تحيب بالأندلس فى سَرْقُسطة ودرُوقَة وقلعة أيوب؛ يعنى غالبيتهم ومعظم جماعتهم (الأندلسي، 1962م، ص 431) ولادته:

لم يرد فى كتب التراجم تاريخ دقيق لولادته، غير أن صاحب موسوعة شعراء الأندلس يرجح أنها فى الربع الأخير من القرن الرابع الهجري (الوائلي، عبد الحكيم، 2001م، ص 21)، وقد ذكر محقق الديوان أن ولادته كانت فى عام 375هـ (الداية، 1991م، ص 8).

ومن الذين تناولوه بالترجمة - أيضًا - الضبي (الضبي: أحمد بن يحيى بن أحمد بن عميرة الضبي (أبو جعفر) مؤرخ: ولد فى مدينة بلش بالأندلس، وقد ركب متن الأسفار فى شمال إفريقيا وطوف فى بلادها، له بغية الملتمس فى تاريخ رجال أهل الأندلس. ينظر: كحالة، 1993م، 1/132)، وقال عنه: "إنه فقيه، قاضٍ، زاهد، عارف، كثير الشعر فى ذم الدنيا، مجيد فى ذلك" (الضبي، 1989م، 1/274). وقال عنه البلوي (البلوي: يوسف بن محمد بن عبد الله بن يحيى بن غالب، أبو الحجاج البلوي المالقي الأندلسي المالكي، ويقال له ابن الشيخ: عالم اللغة والأدب، مولده ووفاته بمالقة، تولى الخطابة بها، كان أحد الزهاد المشهورين، يقال: إنه بنى بمالقة نحو اثني عشر مسجدًا بيده، ولم تقفه غزوة فى البر ولا فى البحر، له كتاب (ألف باء) مجلدان، سماه الزبيدي: (ألف باء للألباء)، وكتاب آخر توسع فيه بما أوجز فى (ألف باء) من أخبار وأشعار، سماه (تكميل الأبيات وتتميم الحكايات مما اختصر للألباء فى كتاب ألف باء)، ينظر: الزركلي، 2002م، 247/8 - 248): "كان الأستاذ أبو عبد الله بن سودة شيعي - رحمه الله - يحمل طلبته على حفظه - يعنى شعر الإلبيري - لجودته" (البلوي، (د ت)، ص 13).

وقال عنه ابن الخطيب (لسان الدين ابن الخطيب: هو محمد بن عبد الله بن سعيد بن عبد الله بن سعيد بن علي بن أحمد السلماني، قرطبي الأصل، ثم طليطلي، ثم لوشي، ثم غرناطي، يكنى أبا عبد الله، ويلقب بلسان الدين، وهو من الألقاب المشرقية، وهو وزير، طبيب، أديب، مؤرخ، وفقه مالكي أندلسي، ولد بمدينة لوشة فى 25 رجب، 713هـ، نشأ بغرناطة وتآدب على شيوخها، توفي فى ربيع الأول، عام 776هـ. ينظر: الخطيب، 1424هـ، 2/1): "وأما شعره، فلا تجد حادي جنازة، ولا مذكر مأدية، ولا واعظًا، إلا وهو مكتر منه" (الخطيب، 1424هـ، 105/1)، مما يدل على أثر شعره على الأندلسيين، الذين ظلوا يتناقلون أشعاره فى الزهد.



وفاته:

تتاقلت الكتب التي ترجمت له، أنه توفي نحو سنة 460هـ، " في أثناء مدة دول الطوائف قبل انهيار الأندلس الكبير بسقوط طليطلة سنة 478هـ" (الداية، 1991م، ص 11).

1. المَبْحَثُ الأوَّل: الرِّبْطُ الإِضَافِيُّ فِي شِعْرِهِ

يعد الربط بالأداة من وسائل الاتساق النحوي التي تظهر على سطح النص ولها دور كبير في هذا السياق يتمثل في وصل المعاني بعضها ببعض (ينظر: ابو زنيد، 2010م، ص 132) وهذه العلاقة الربطية- أي الربط بالأداة تختلف في طبيعتها عن علاقات الربط الأخرى (الإحالة، الاستبدال، الحذف) إذ أنها ليست علاقة إحالية (ينظر: شبل، 2007م، ص 110) ولا استبدالية ولا حذفية إنما يتركز عملها على الجانب الوصلي بين معاني النص، وعلى ذلك سأقف مفصلاً في بعض النماذج التي سنخضعها للتحليل من ديوان الإليبري، على وفق ما سنراه في الآتي:

ويُعَبَّرُ عن هذا القسم من الربط بالأدوات (الواو، الفاء، أم، أو) فيتم الربط بين الجمل بوساطتها عبر إضافة معنى جديد، فتضيف كل جملة لاحقة الى سابقتها عنصراً إخبارياً جديداً (ينظر: شبل، 2007م، ص 162)، وهذا ما أطلق عليه الدكتور تمام حسان بالربط الجمعي منعا للبس بينه وبين مصطلح الإضافة في العربية (ينظر: دي بوجراند، 1998م، ص 35، ورمضان، 2006م، ص 23).

وقد عرفه كل من هاليداي ورقية حسن بأنه "يطلق على الروابط التي تضيف معنى اللاحق إلى (السابق 227) (Cohesion in English)"، وهو التعريف نفسه الذي أطلقه روبرت دي بوجراند، مع الأخذ في الاعتبار أنه سماه ربط مطلق الجمع وربط التخبير، وذكر أنه "هو الذي يربط بين صورتين أو أكثر من صور المعلومات بالجمع بينهما، إذ تكونان متحدتين من حيث البيئة أو متشابهين (دي بوجراند، 1998م، ص 346)"، وتعددت وسائل الربط الإضافي في ثنايا الديوان، فجاء الربط الإضافي موسوماً بالواو، و(أو)، و(أم). وقد أضفى الربط الإضافي بتعدد وسائله نوعاً من التماسك النصي والتلاحم بين بنيات النص. وقد تعدد دور الربط الإضافي داخل شعره؛ فقد قام بصنع التماسك بين مكونات الجملة الواحدة (الكلمات)، وبين الجمل المتجاورة، والجمل المتباعدة، وقد ساعدت مرونة الربط الإضافي من تأدية وظيفته عبر الديوان في الربط والتلاحم.

فاستخدام (الواو) في ذلك، فيقول من الوافر (الداية، محمد رضوان، 1991م، ص 25):

أبا بكرِ دَعَوْتُكَ لَوْ أَجَبْتَا إِلَى مَا فِيهِ حَظُّكَ إِنْ عَقَلْتَا
إلى علمِ تَكُونُ بِهِ إِمَاماً مُطَاعاً إِنْ نَهَيْتَ وَإِنْ أَمَرْتَا



وَتَجْلُو مَا بَعَيْنِكَ مِنْ عَشَاهَا
وَتَحْمِلُ مِنْهُ فِي نَادِيكَ تَاجًا
وَيَكْسُوكَ الْجَمَالَ إِذَا اغْتَرَبْنَا
يَنَالُكَ نَفْعُهُ مَا دُمْتَ حَيًّا
وَيَبْقَى ذُخْرُهُ لَكَ إِنْ ذَهَبْنَا
هُوَ الْعَضْبُ الْمُهَنْدُ لَيْسَ يَنْبُو
تُصِيبُ بِهِ مَقَاتِلَ إِنْ ضَرَبْنَا
وَكَنْزًا لَا تَخَافُ عَلَيْهِ لِصًّا
خَفِيفَ الْحَمْلِ يَوْجُدُ حَيْثُ كُنْنَا

هنا حيث يحمل الشاعر لواء قضية من القضايا التي طالما شغلت أذهان الشعراء في مختلف الأعصر، يدعو مخاطبه أبا بكر إلى التزام التعلم؛ لما يضيفه على صاحبه من صبغة الوقار والقوة، ويُعزِّز من دوافع احتفاء الناس به في كل منزل يحل به، على أن التاطير لعلاقة بعض الجمل المنتخبة في هذا النص كان يلزمه توظيف بعض ما لا بد منه من أدوات تربط بين هذه الجمل وبعضها. ومبيناً قدرته على جعل النص يتفاعل مع بعضه البعض جاعلاً بنيات النص المتناثرة تكاد تكون بنية واحدة بما تحققه أداة الربط (الواو) من مطلق الجمع (ينظر: ابن عقيل، 1980م، 103/3)، يقول الجرجاني: "إنا نرى أمراً آخر نحصل معه على معنى الجمع" (الجرجاني، 1992م، ص 224) وذلك أنها لا تجيء حتى يكون المعنى في جملة لفقاً لمعنى في الأخرى ومضاماً له وبها يزداد معنى الجمع قوة وظهوراً. (ينظر: الجرجاني، 1992م، ص 225-226).

ولأن الربط من دواعي فهم النص، ودوافع انسجام بعض ركائز بنايه مع بعضها، يأتي سعي الإليبري هنا لانتقاء الأنسب من تلك الروابط لتشاكل المعنى المرجو من الخطاب، وانطلاقاً من هذه الغاية نراه يسبك بين جملي الشرط، من قوله: "مطاعاً إن نُهيبت، وإن أمرت"، لتحل الواو العاطفة بين هاتين الجملتين مُتَّفَقِي المعنى والدلالة محل الخيط الذي ينسج طرفي الثوب، فتنزل الثانية من الأولى منزل الجزء من كليه.

ومن هذا السبك، ربطه بين جملة الصفة من قوله: "تكون به إماماً" وهي في محل النعت لقوله: "علماً"، وجملة: "وتجلو ما بعينك من عشاها"، على أن تكون هذه الثانية عطفاً على جملة النعت السالفة، أو أن تكون استثناءً، وهي إذن جملة جديدة مستأنفة، وعلى ذلك فهي معمولة لمبتدأ محذوف مقدر بـ(أنت)، أي: وأنت تجلو ما بعينك من عشاها، وعلى شاكلة الأتف كل ما أورده من جمل معطوفة بالواو في هذا النص.



وقد استند الشاعر إلى الربط الإضافي -أيضاً- عبر الأداة (أو)، وجاءت في المرتبة الثانية بعد (الواو) من حيث ورودها في الديوان، والأداة (أو) تغيد الربط عن طريق التخيير، فهي تربط بين صورتين أو أكثر من المعلومات، والصورتان تكونان متحدتين من حيث البيئة أو متشابهتين، لكن الصدق لا يتناول إلا محتوىً واحدًا (دي بوجراند، 1998م، ص 347).

وقد تعددت صور الربط بالأداة (أو)، فقد يأتي بها الشاعر مفردة دون تكرار، وقد يأتي بها مكررة؛ أملاً في إضفاء مزيد من الربط، ولا يختلف من جهة الربط الشكلي وما يؤديه من اتساق نصي عن أدوات الربط الأخرى غير أن هذه الأداة تمتاز عن غيرها من الأدوات في أن الاختيار يقع على واحد من عناصرها المتعاطفة، إذ "يربط التخيير صورتين أو أكثر من صور المعلومات على سبيل الاختيار" (دي بوجراند، 1998م، ص 346) ومن صورها المفردة يلمح قوله (الداية، 1991م، ص 29):

فَلَيْسَتْ هَذِهِ الدُّنْيَا بِشَيْءٍ تَسْوُوكَ حُقْبَةً وَتَسُرُّ وَقْتًا
وَعَايَتُهَا إِذَا فَكَّرْتَ فِيهَا كَفَيْتِكَ أَوْ كَحْلَمِكَ إِنْ حَلَمْتَ

فهو هنا إذ يلهجُ بلسانِ الحكماء، يُحذِرُ مخاطبيه من تقلُّبِ هذه الدُّنْيَا بأهلِهَا، مُؤَكِّدًا عَلَى أَنَّهَا لَا تُمَثِّلُ شَيْئًا لِعَاقِلٍ، فَإِنَّهُ إِنْ تَفَكَّرَ فِيهَا لَا يَقِفُ مِنْهَا إِلَّا عَلَى مَا يَسُوهُ، وَأَنَّ غَايَتَهَا - لِلْمُتَأَمِّلِ - كَالْفَيْئِ الْمُسْتَفِيِّ أَوْ كَالْحُلْمِ الْمُتْرَائِي مَنَامًا لِلنَّائِمِ، وَفِي سَبِيلِهِ لَتَأَكِيدُ تَمَثُّلَهُ لِلدُّنْيَا بِهَاتَيْنِ الصَّفَتَيْنِ، يَأْتِي بِالرَّبْطِ التَّرَكِيبِيِّ الْمُنْعَكِسِ عَلَى الْمَعْنَى بِدَلَالَةِ اسْتِثْنَائِيَّةٍ جَدِيدَةٍ، فَيُخَبِّرُ الْمُخَاطَبَ بِأَنَّ مِنْ شَأْنِ الدُّنْيَا مَعَ أَهْلِهَا أَنَّهَا لِنَقْلِهَا إِذَا مَا أَنَّهَا كَفَيْتُهُ الْمُسْتَفِيِّ فِي الظِّلِّ مِنْ قِيظِ الشَّمْسِ، أَوْ كَحْلَمِ تَرَاءَى لِصَاحِبِهِ مَنَامًا. وَالْمَعْنَى عَلَى التَّخْيِيرِ؛ لِأَنَّ الْفَيْئَ مِمَّا يَقَعُ لِلْيَقِظِ الْمُسْتَفِيِّ نَهَارًا، وَالْحُلْمَ مِمَّا يَقَعُ - غَالِبًا - لِلنَّائِمِ لِيَلًا، وَبَيْنَهُمَا مُفَارَقَةٌ ضَدِيَّةٌ لَا يَنْتَظِمُهُمَا كَلَامٌ وَاحِدٌ إِلَّا بِاعْتِبَارِ الْمُنَاقِضَةِ وَالضَّدِيَّةِ الْحَقِيقِيَّةِ، وَهَذَا أَبْرَزُ دَوَافِعِ اجْتِبَاءِ الْإِلْبِيرِيِّ لـ(أو) الْعَاطِفَةِ التَّخْيِيرِيَّةِ عَلَى الْوَاوِ، فَالْوَاوُ لِمُطْلَقِ الْجَمْعِ، وَهَذَا لَا يَسُوغُ مَعَ هَذَيْنِ الضَّدِيَّيْنِ، وَ(أو) لِإِقَادَةِ التَّخْيِيرِ، وَهُوَ الْأَنْسَبُ فِي الرِّبْطِ بَيْنَ غُضْرِي التَّضَادِّ الْقَائِمِينَ فِي الْخَطَابِ مَقَامًا مُتَضَادًّا.

وقوله (الداية، 1991م، ص 37):

إِذَا أَنَا لَمْ أَتَّحِ نَفْسِي وَأَبْكِي عَلَى حَوْبِي بِتَهْتَانِ سَكُوبِ
فَمَنْ هَذَا الَّذِي بَعْدِي سَبِيكِي عَلَيْهَا مِنْ بَعِيدٍ أَوْ قَرِيبِ



وهنا يُبرزُ الشَّاعِرُ أثرَ تجربته الوجدانيَّة، في نعيه على نفسه وتحسُّره على ما فاتَّها من حظِّها في الطَّاعات، وأثرَ فيها من الحوبات التي حملته على البكاء بدمعه التَّهتانِ شديدِ السَّيلانِ؛ مؤكِّداً على إدراكه لأنَّ أحدًا قريبًا كانَ أو بعيدًا لَنْ يُكَلِّفَ نفسَهُ النَّدَمَ عليه ولا التحسُّرَ على ما آلَ إليه حاله.

فوسَّطَ الحرفَ العاطفَ (أو) بينَ (بعيدٍ)، و(قريبٍ) إمَّا لإفادةٍ معنَى التَّخييرِ، على أن يكونَ المعنى: لم يَبْكِني القريبُ، فكيفَ إذنَ بالبعيدِ؟، وإمَّا على الجَمْعِ والضمِّ، فتكونُ بذلكَ عاملةً عملَ (أو) العاطفة، والمعنى حينئذٍ: (أنا أُولَى بِبُكاءِ نفسي، إذا لم يَبْكِني البعيدُ ولا القريبُ)، وهو الأقربُ إلى المعنى المُرادِ مِنَ الخُطابِ، وبهذه الأداة يتحقَّقُ التَّماسُكُ في صورتِه الظَّاهِرة.

وقد حقَّقَ الشَّاعِرُ بهذه الرِّابطةِ بينَ البعيدِ والقريبِ، بالحرفِ العاطفِ (أو) الغايةَ الدلاليَّةَ المنشودةَ مِنَ النصِّ، ليس حصرًا في السِّبكِ والتَّماسِكِ النصِّيِّ، بل كذلكَ فيما يَعودُ به هذا الحرفُ على المعنى من إفادةِ الإغراقِ في الحسرةِ، معَ تخلفِ النَّاسِ عن أن يُلقِيَ له أحدٌ مِنْهُمُ بالألَّا، وذلكَ أدقُّ في مقامِ التَّعبيرِ عن شدَّةِ الحسرةِ والانكسارِ.

ومن أدواتِ الربطِ التي تقيدُ التَّغييرَ (أم) (ينظر: شبل، 2007م، ص 162، والداودي، 2010م، ص 91)، فهي تعادلُ بينَ العناصرِ اللغويَّةِ التي تقعُ في سياقها، فتقومُ بوظيفتين في آن واحدٍ وظيفيةً ربطيةً بينَ عناصرها ووظيفةً تغييريَّةً وهذا ما يظهرُ في قولِ الشَّاعِرِ (الداودي، 2010م، ص 63):

وَمَا يَعْرِفُ الْإِنْسَانُ أَيْنَ وَفَاتُهُ أَفِي الْبَرِّ أَمْ فِي الْبَحْرِ أَمْ بِقَلَاةٍ

وفي إطارِ النَّصْحِ والتَّوجيهِ، يُرشدُ الإلبيريُّ إلى أنَّ الإنسانَ مُسَيَّرٌ لا خيرةَ له في مكانِ مَوْتِهِ ولا في زمانِه، فيجْهَلُ - ضِمْنًا - مَنْ عساهُ يَجْزُمُ بِمَوْتِ فِي زَمَانٍ أَوْ مَكَانٍ مُحدَّدِينَ، وفي إطارِ تَتَوِيغِهِ مِنَ الألفاظِ التي تَرَكَّبَ مِنْهَا معنَى تامٍ لإفادةٍ دلاليَّةٍ واحدةٍ، تَجْمَعُ تحتَها عددًا مِنَ عناصرِ التَّكوِينِ التَّركيبيِّ، يَسُوقُ ما يمزجُ بينَ هذا العناصرِ في مُكوِّنٍ واحدٍ أيضًا؛ لتتحدَّ الدلالةُ وتتوحَّدَ المفهوميةُ.

وهذه الأداة لها بُعدٌ جمالي ودلالي يتمثل في كونها تجعل المتلقي على اتصال وارتباط مع النص ومستدعيًا المرتكزات المعرفية الذهنية وبذلك يكون معيداً لإنتاج النص بما يتساوق مع مقاصد الشاعر أو الباحث فهي -الأداة- لا تقف عند المعنى التخيري أو الدور الربطي فقط.

ومن بابِ التَّوَيغِ في استعمالِ الأدواتِ العاطفةِ يأتي الإلبيريُّ هنا في هذا البيتِ بما يقطعُ الطَّرِيقَ على المُتلَقِّ في الظَّنِّ بأنَّه مِمَّا يَراهُ بِهِ التَّخْيِيرُ أو غيرِه، فَيأتي بِحرفِ مِنَ حروفِ العَطْفِ التي لا عَمَلَ لَهَا إلا التَّخْيِيرَ، وهو (أم) جزماً بنفي عِلْمِ مَنْ ادَّعى العِلْمَ بِمَكَانٍ أَوْ زَمَانٍ مَوْتِهِ، مُخبرًا بأنَّه لا يَعْلَمُ متى ولا في أيِّ مَكَانٍ سَيَمُوتُ، في البرِّ أم في البحرِ، أم في الصَّحراءِ.



وقد تضمَّنَ هذا الحرفُ - إلى جانب دلالته القاصرة على التَّخْيِيرِ - معنَى الإِضْرَابِ، فَكَأَنَّهُ أَضْرَبَ عَن سَابِقِهِ مُسْتَأْنِفًا بِهِ بِمَا لَحِقَهُ مِنَ المَعْطُوفَاتِ؛ لِإِفَادَةِ نَفِي العِلْمِ عَمَّن ادَّعَاهُ بِمَكَانِ المَوْتِ أَوْ زَمَانِهِ، وَهَذَا مِنْ لَوَازِمِ حَرْفِ العَطْفِ (أَمْ)، فَتَجَاوَبَتِ المُفْرَدَاتُ المُتَعَاظِفَةُ بِهِ مَعَ بَعْضِهَا، فَانْتَسَجَ الكَلَامُ فِي مَنَوَالٍ وَاحِدٍ، وَاتَّحَدَ مَدْلُولُهُ عَلَى شَاكِلَةِ مَا يُرِيدُهُ الإِلبِيرِيُّ، وَذَلِكَ أبلغُ غَايَاتِ التَّمَاسِكِ الَّتِي إِلَيْهَا يَجْمَعُ المُنْتَكِمُ حِينَ يُوظَّفُ أَدَاةً ك(أَمْ) فِي الرِّبْطِ بَيْنَ المُفْرَدَاتِ وَبَعْضِهَا فِي نَسَقِ خُطَابِيٍّ وَاحِدٍ، كِي لَا يُوقِعَ بَيْنَ هَذِي المَفْرَدَاتِ وَبَعْضِهَا قَطِيعَةً، تُوَدِّي إِلَى تَفْرُقِ الدَّلَالَةِ.

2. المَبْحَثُ الثَّانِي: الرِّبْطُ العَكْسِيُّ :

يطلق الربط العكسي على الوسيلة التي يقام بها علاقة تعارض بين صورتين من صور المعلومات، فهو "يربط على سبيل السلب صورتين في صور المعلومات بينهما علاقة التعارض، إذ تكونان في بيئتهما متحدتين أو متشابهتين، أو أن ذلك يكون بتناولهما لموضوعات بينهما علاقة؛ لكن من خلال تجمع غير متوقع التشطيط الموسع وقد يكون كل من الصورتين صادقاً بالنسبة لعالم النص، ولكن تعلق كل منها بالآخر غير واضح(دي بوجراند، 1998م ص 346، 347)".

وهناك من أطلق على هذا النوع من الربط ربط النقيضين، فهو يربط بين شيئين لهما المكانة نفسها، لكنهما يبدوان متدافعين أو غير منسقين في عالم النص، فالعلاقة التي تجمع بينهما علاقة تعارض(أبو غزالة وأحمد، 1999م ، ص 107).

ويعد الربط العكسي من وسائل الربط التي اعتمد عليها الشاعر في ديوانه؛ استناداً لقدرتها النصية على السبك النصي، وتدعيماً لفكرته في الربط بين المعلومات ذات العلاقات المتعارضة، فقد استخدم الأداة (لكن) (الداية، 1991م، ص 29) بكثرة، التي جاءت في المنزلة الأولى من حيث الورد، في ستة عشر موضعاً، تلتها (لا) (الداية، 1991م، ص 43) في أربعة مواضع، ثم (بل) (الداية، 1991م، ص 93) في ثلاثة مواضع، واستخدم (بخلاف) (الداية، 1991م، ص 39) في موضع، وقد جاءت كل هذه الأدوات صانعة للتعانق اللغوي داخل بنية النص. يمكن تتبع هذا الدور من خلال قوله(الداية، 1991م، ص 32):

وَلَوْ وَاقِفَتِ رَبِّكَ دُونَ ذَنْبٍ وَنَاقَشَتِكَ الحِسَابَ إِذَا هَلَكْتَ
وَلَمْ يَظْلَمَكَ فِي عَمَلٍ وَلَكِنْ عَسِيرٌ أَنْ تَقُومَ بِمَا حَمَلْنَا



ففي إطار تحديد الشاعر لمشهدٍ من مشاهد الحسابِ يومَ القيامةِ، ومدى ما يُلَاقِيهِ الإنسانُ من هولِ هذ الموقفِ، يُقدِّمُ بينَ يدي الفكرةِ ما يُلوِّحُ بالصلةِ بينَ السَّلْبِ المُعَوَّلِ في صياغةِ المعنى من قوله: "وَلَمْ يَظَلِمَكَ فِي عَمَلٍ" والإيجابِ المنوطِ بهِ عكسُ القضيةِ من قوله: "وَلَكِنْ عَسِيرٌ أَنْ تُقَوِّمَ ..."، وهما من الأضدادِ التي لا تجتمعُ في كلامٍ واحدٍ؛ لِمَا بينَ السَّلْبِ والإيجابِ من التناقضِ الظاهرِ.

غيرَ أنَّ مُسَوِّغَ اجتماعِهما في هذا النصِّ عَوْدُ الضميرِ في الجُملةِ المنفيَّةِ بِ(لم) عَلَى اللَّهِ تَعَالَى، إذ يستحيلُ عليه سُبْحَانَهُ الظُّلْمُ، وعَوْدُ الضميرِ الجُملةِ المُثَبِّتَةِ عَلَى المُخَاطَبِ، وهو مِمَّنْ يُتَوَقَّعُ مِنْهُ الظُّلْمُ لِنَفْسِهِ، وَمِنْ ثَمَّ كَانَ احتمالُهُ يَوْمَ الحِسَابِ لِظُلْمِهِ لِنَفْسِهِ شَيْئًا عَسِيرًا؛ لِأَنَّهُ - وإن لم يُذنب - فَإِنَّ فِيهَا يُسْرَهُ أَوْ لَا يُحِيطُ بِعَلْمِهِ ذَنْبٌ مَخْفِيٌّ قَدْ يُشَدِّدُ عَلَيْهِ النُّهُوضُ فِي الحِسَابِ، فَكَانَ لِهَذَا الجَمْعِ بَيْنَ السَّالِبِ والمُوجِبِ مُسَوِّغًا تَرْكِيبيًّا، يَعْكُسُ أَثَرَ النَسِيحِ الدَّلَالِيِّ عَلَى النَّصِّ فِي صُورَةٍ غَيْرِ مُطَّرَدَةٍ، بل هي عَلَى نَحْوِ عَكْسِيٍّ.

وقد استخدم الشاعر - أيضًا - الأداة (بل)، وهي من أدوات الربط العكسي. يمكن توضيح هذه الوظيفة لها من خلال قوله (الداية، 1991م، ص 112):

وَفَرَّقَ عِدَاهُمْ وَخَذَ مَا لَهُمْ فَأَنْتَ أَحَقُّ بِمَا يَجْمَعُونَ

وَلَا تَحْسِبَنَّ قَتْلَهُمْ غَدْرَةً بَلِ الْغَدْرُ فِي تَرْكِهِمْ يَعْثُونَ

فواصل المعنى بما يُوجي بعكس ما يُريدُ بتوظيفِ الأداة التي إن وقعتُ بينَ تركيبين دلَّتْ على هذه المناقضة، وهي (بل)، ومعلومٌ أنَّ لـ(بل) من العملِ ما يَعْكُسُ قضيَّةَ الكلامِ، ويُعطي المُخَاطَبَ بِهَا انطباعًا عن رغبةِ المُتَكَلِّمِ في الإضرابِ عن كلامه الأول؛ لتقريرِ فكرةٍ أو قضيةٍ جزئيةٍ مُغَايِرَةٍ لِمَا قَبْلَ (بل)، وهذا ما فعله الشاعرُ حينَ وصلَ بينَ الفعلِ المُضَارِعِ المنفيِّ بِ(لا) من قوله: "وَلَا تَحْسِبَنَّ قَتْلَهُمْ غَدْرَةً" نَافِيًا بِذَلِكَ عَمَّنْ تَعَرَّضَ لِذِكْرِهِ فِي هَذَا النَّصِّ بِالتَّحْرِيزِ عَلَى قَتْلِ مَنْ حَرَّضَهُ عَلَى قَتْلِهِمْ، وَبَيْنَ الْمُضْرَبِ عَنْهُ مِمَّا أَوْقَعَهُ بَعْدَ (بل) من قوله: "بَلِ الْغَدْرُ فِي تَرْكِهِمْ يَعْثُونَ".

ولذلك حدثتِ المُغَايِرَةُ بَيْنَ إعرابيِّ ما قبلَ (بل) وما بعده، فَمَا بَعْدَهُ فِي حُكْمِ المُسْتَأْنَفِ، فهو كالجُملةِ الجديدةِ، وَمِنْ هُنَا عَرَضَ لـ(الغَدْرُ) الرِّفْعُ بِالإبتداءِ بَعْدَ (بل)، والقياسُ قاطعٌ معَ العطفِ بِهَا أَنْ تَكُونَ كَلِمَةً (الغَدْرُ) منصوبةً عطفًا عَلَى كَلِمَةٍ (غَدْرَةً)، ولكن لتغايرِ القضيتين، نَفَى الشَّاعِرُ أَمْرًا مُحَدَّدًا مِنْ وَجْهِ، ثُمَّ عَادَ لِإثباتِهِ مِنْ وَجْهِ آخَرَ، وذلك مدعاةُ التَّنَاسُجِ النَّصِيِّ والتَّعَانُقِ الدَّلَالِيِّ بَيْنَ قَضِيَّتَيْنِ مُتَعَاكِسَتَيْنِ فِي أَثَرِهِمَا النَّحْوِيِّ، وَلَكِنَّهُمَا مُتَّفَقَتَانِ مِنْ حَيْثُ الإِجْرَاءُ الدَّلَالِيُّ.



أضف إلى ذلك قدرتها على الاختزال اللغوي الذي يصنع نوعاً من الإيجاز يعبر به الشاعر على الحلقات اللغوية المفرغة إلى متلقيه في صورة مباشرة دون خلل أو اجتراء للنص؛ مما أسهم في تعانق أفكاره، وترابط بنيته اللغوية.

وإضافة إلى مجيء أدوات الربط العكسي متفرقات في ثنايا الديوان؛ تأكيداً للربط بين بنيات لغوية جزئية - نجد الشاعر أمام زخم المعلومات المتعكسة يلجأ لشحن بنيته النصية بالعديد من أدوات الربط العكسي جملة واحدة؛ إبرازاً لفكرته وإيماناً بقدرتها على ربط أواصر بنيته النصية. يمكن تتبع ذلك عبر قوله (الداية، 1991م، ص 93):

وَلَوْ أَنَّنِي أَدْعُو الْكَلَامَ أَجَابَتِي	كَاجَابَةِ الْمَأْسُورِ دَعْوَةَ أُسِيرِ
لَكِنْ رَأَيْتُ نَبِيئًا قَدْ عَابَهُ	مِنْ كُلِّ ثَرْتَارٍ وَأَشْدَقِ شَاعِرِ
فَصَمَّتْ إِلَّا عَنِ نَقْيٍ وَلَزُبَّمَا	قَذَفَتْ بِحَارٍ قَرِيحَتِي بِجَوَاهِرِ
مَا اسْتَحْسَنُوا طَوْلَ الْخَطَابَةِ بَلْ رَأَوْا	تَقْصِيرَهَا مَهْمَا ارْتَقَوْا بِمَنَابِرِ
وَلَمَّا رَأَوْا سَرَدَ الْكَلَامِ بِسَائِغِ	إِلَّا لِعَبْدٍ قَارِيٍّ أَوْ ذَاكِرِ
فَالْعَيْ فِي الْإِكْتَارِ لَا فِي مَنْطِقِ	يُهْدِي إِلَى الْأَلْبَابِ نَقْثَةَ سَاحِرِ

ذلك أنه - كما يبدو من ظواهر التوظيفات اللغوية والسياقية في هذا الخطاب - يمتدح الكلام في غير عي ولا إكثار، ويعيب على المتشدين المتحاذقين كثرة كلامهم وانصبابه في غير واديه، وطلباً لهذه الغاية يُشدد في تعزيز خطابيه بتعدد الروابط العكسية التي ترأب صدوع التراكيب المتناثرة في خطابيه، فأنتى على جملة الخطاب بما يطلب ما بعده ما قبله من تلك الأدوات، فوظفت (لكن) الاستدراكية مرةً، و(بل) الإضرابية أخرى.

فهو إذ يمتدح نفسه بقوة الحجّة والقدرة على امتلاك ناصية الكلام، يُعَيّد ذلك بأنّ المانع له من الإكثار منه أنّ النبي صلى الله عليه وسلم، قد عاب الكثيرين المتشدين المتقهيقين، فردّه ذلك عن الإكثار منه، ولأنه احتكم في الإفادة من هذا المعنى إلى حديث النبي صلى الله عليه وسلم، وأراد في الوقت نفسه أن يجلي به عن عدم صواب الإكثار من الكلام حتى مع قدرته عاعليه؛ لأنه ممّا يُعاب به الرجال، لزمه أن يستدرك على المعنى بعكس قضية النظم، فأشار إلى أنه مالك لأزمة الكلام، ولكنّه يُحجم عنه؛ ليعيب فيمن يكثر منه، فكان لهذا الاستدراك (لكن) أبرز التأثير في الحياذ عن المعنى الذي هو أخذ فيه إلى ما ينقضه به إلا ما ليس يُعاب به من كلام النقي والعمّة.



وتدعيماً لهذه الفكرة يسوق شاهداً على كلامه من قبيل الاحتجاج على أن امتلاك رقاب القول مما لا يبيح لإصاحبه الإكثار في الكلام، فأكد على ذلك بأن العرب لم يكونوا ليبيحوا التثقل في القول حتى لو كان صادراً من خطيب موهو تشهد له المتأثر بذلك، وهما معنيان يتظاهراً فيهما التصادم، فبين انتشاء العرب بفصيح المقال والشهادة لإصاحبه بالجزالة والقوة، وعدم تقبلهم لطوله حتى مع فصاحتها تناقضاً، سعى الشاعر للتوفيق بينهما بوصلهما بحرف العطف الإضرابي (بل) مُشيراً إلى أن رضاءهم بالكلام له وجه، وعدم رضائهم به له وجه آخر.

3. المبحث الثالث الربط السببي :-

يقوم هذا الربط على ملاحظة العلاقة السببية بين التراكيب عن طريق الأدوات النصية الملفوظة (ينظر: ابو زيد، 2010م، ص136)، ويشير الربط السببي إلى تلك العلاقة التي تجمع بين صورتين من صور المعلومات بينهما حالة تدرج بمعنى أن تحقق إحداها يتوقف على حدوث الصورة الأخرى، فهو ربط منطقي بين جملتين أو أكثر، وقد أطلق عليه روبرت دي بوجراند مصطلح "التفريع" (دي بوجراند، 1998م، ص347).

ويمكننا الربط السببي من إدراك العلاقات المنطقية القائمة بين جملتين أو أكثر، ويستخدم أدوات السبب والنتيجة والتعبير عنه، مثل: (لذلك، الفاء، مادام، ولهذا، بناء على هذا، من أجل، لأن، اللام، لكى).

ومن مواضع الفاء السببية في الديوان قوله (دي بوجراند، 1998م، ص 32 _ 74):

ونفسك ذم لا تدمم سواها

بعيب فهي أجدر من ذممتا

وذلك استكمالاً لمنطقات الحكمة التي علّق عليها الإليبري كثيراً من منظوماته أو بعضاً منها، وهو هنا يربط بين المذمة التي لا بد للإنسان منها، تحقيراً لنفسه وتهويناً لها، كي لا يتعاطم شأنه عند نفسه، فيأتي من الموبقات ما يدم به من غيره، وبين ما يصدر منها من معائب تستوجب هذا الذم والتوبيخ، وأن المعنيين متراتبين وسط الشاعر بينهما ما يوجب لهما الارتباط والتعاقب، ليبيدهما في صورة متناسجة مسبوكة، فكانت الفاء العاطفة المفيدة للسببية أحد وسائله إلى ذلك.



فقوله: "فَهِيَ أَجْدَرُ مَنْ دَمَمَتْ" بمنزلة الكلام المُعلَق على سببه، حيث أنزل الإليبري هذا الشطر، من قوله: "وَنَفْسَكَ ذَمًّا لَا تَذُمَّمُ سِوَاهَا بَعِيْبٍ" النتيجة من السبب، وهي ممَّا يُطْلَقُ عَلَيْهِ فِي الدَّرْسِ اللِّسَانِيِّ الحديثِ مَصْطَلَحِ الرِّبْطِ السَّبْبِيِّ، لِأَنَّ الإِطَارَ النَّصِيَّ الَّذِي بَيْنَ كِلَا الْجُمْلَتَيْنِ إِطَارٌ مَبْنِيٌّ عَلَى التَّعْلِيْقِ السَّبْبِيِّ الَّذِي يَجْمَعُ تَحْتَهُ بَيْنَ تَرْكِيْبَيْنِ أَحَدُهُمَا لَا يَقُومُ بِغَيْرِ الْآخَرِ.

وقد كثر هذا النوع من الربط السببي المسبوق بالأمر أو النهي، من ذلك - أيضًا - قوله(دي بوجراند، 1998م، ص33):

فَلَا تُكْذِبْ فَإِنَّ الْأَمْرَ جَدُّ

وَلَيْسَ كَمَا احْتَسَبْتَ وَلَا ظَنَنْتَا

أَبَا بَكْرٍ كَشَفْتَ أَقْلَ عَيْبِي

وَأَكْثَرَهُ وَمُعْظَمَهُ سَتَرْتَا

فَقُلْ مَا شِئْتَ فِي مَنِ الْمَخَازِي

وَضَاعِفَهَا فَإِنَّكَ قَدْ صَدَقْتَا

وَمَهْمَا عَيْبَتِي فَلْفَرَطِ عِلْمِي

بِبَاطِنَتِي كَأَنَّكَ قَدْ مَدَحْتَا

فَلَا تَرَضِ الْمَعَايِبَ فَهِيَ عَارٌ

عَظِيمٌ يُورِثُ الْإِنْسَانَ مَقْتًا

على أن مثل ذلك من التأطيرات التركيبية لعلاقة أجزاء النص الشعري بعضها ببعض، بتوظيف الغاء السببية الجامعة بين نتيجة وسببها، ليس محصوراً في أداء الإليبري وحده في هذا الخطاب، بل إنه مما عول عليه كثير من شعراء العربية في شتى عصور الشعر، ودافعهم واحد مع اختلاف الأغراض،



ذَلِكَ أَنَّهُمْ أَرَادُوا مَا أَرَادَهُ الْإِلْبِيرِيُّ مِنْ إِعْمَالِ هَذِهِ الْعِلَاقَةِ الَّتِي يَتَوَخَّى فِيهَا الشَّاعِرُ الْجَمْعَ بَيْنَ فَاءِ السَّبَبِ وَالْأَمْرِ أَوْ النَّهْيِ، مِنْ أَنَّ مَا كَانَ مِنْ نَهْيِهِ بِقَوْلِهِ:
"فَلَا تَكْذِبْ فَإِنَّ الْأَمْرَ جِدٌّ وَلَيْسَ كَمَا احْتَسَبْتَ وَلَا ظَنَّنَا"

مُرَادًا بِهِ تَعْلِيقُ هَذَا النَّهْيِ عَلَى مَا هُوَ مِنْ سَبَبِهِ، فَكَذِبُ الْمُخَاطَبِ الَّذِي نَهَاهُ الشَّاعِرُ عَنْهُ، مُرْتَبِطٌ بِرِتْبَاطًا دَلَالِيًّا بِجِدِّيَّةِ الْأَمْرِ الَّتِي لَا يَتَنَاسَبُ مَعَهَا الْكُذْبُ، بَلْ وَقَدْ يُعَمِّقُ مِنْ أَثَرِهَا بِالرُّكُوبِ إِلَى الْكُذْبِ، فَلَا يُمْكِنُ صَاحِبَتَهُ مِنْ إِتْيَانِ الْأَمْرِ مِنْ بَابِهِ؛ لِحِيلُولَةِ لِكُذْبِ بَيْنَهُ وَبَيْنَ رُؤْيَتِهِ لَهُ عَلَى صُورَتِهِ الَّتِي تَسْتَدْعِي النَّظَرَ إِلَيْهِ بِجِدِّيَّةٍ، فَكَانَتْ الْفَاءُ بَعْدَ النَّهْيِ الْأَزْمَ لِخُضُوعِ الْمُتَلَقِّي لِطَلْبِ الْإِلْبِيرِيِّ بِعَدَمِ الْكُذْبِ، وَأَدْعَى إِلَى الْمَزْجِ بَيْنَ عُنْصُرَيْ هَذَا التَّرْكِيبِ بِبَعْضِهِمَا بِعِلَاقَةِ السَّبَبِيَّةِ.
وَعَلَى الطَّرِيقَةِ ذَاتِهَا يُحِيلُ الْإِلْبِيرِيُّ بِفِعْلِ الْأَمْرِ عَلَى خُصُوصِيَّةِ تَعْبِيرِيَّةِ تَحْكُمُ نَسْجَ الْعِبَارَةِ وَمُكَوِّنَ الْبِنَاءِ التَّرْكِيبِيِّ مِنْ قَوْلِهِ:

فَقُلْ مَا شِئْتَ فِي مِنَ الْمَخَازِي

وَضَاعِفَهَا فَإِنَّكَ قَدْ صَدَقْنَا

غَيْرَ أَنَّهُ تِلْكَ الْمَرَّةَ عَمَدَ إِلَى تَوْظِيهِ الْفِعْلِ الْأَمْرِ مُتَوَصِّلًا بِهِ إِلَى مَا هُوَ مِنْ سَبَبِ خُدُوثِهِ، فَقَوْلُهُ:
"قُلْ مَا شِئْتَ..."، مُرْتَبِّبٌ لِقَوْلِهِ: "فَإِنَّكَ قَدْ صَدَقْنَا" فَقَدْ جَعَلَ الصِّدْقَ نَتِيجَةً حَتْمِيَّةً لِقَوْلِهِ مَا شَاءَ فِيهِ مِنَ الْمَخَازِي، فَكَانَتْ الْفَاءُ وَسِيلَةً أَسهَمَتْ فِي عَمْرِ الْإِلْبِيرِيِّ لِأَفَاقِ النَّصِّ بِمَا يَحْكُمُ الْعِلَاقَةَ بَيْنَ الْقَوْلِ وَمَقُولِهِ مِنْ جَانِبٍ، وَالْقَوْلِ وَمَا تَرْتَّبَ عَلَيْهِ مِنْ جَانِبٍ آخَرَ.
وَلَعَلَّ فِي قَوْلِ الشَّاعِرِ:

وَمَهْمَا عِبْتَنِي فَلَقِرْطِ عِلْمِي

بِبَاطِنَتِي كَأَنَّكَ قَدْ مَدَحْتَا

مَا يَدْفَعُ إِلَى الْحُكْمِ بِنَمَطِيَّةِ الرِّبْطِ السَّبَبِيِّ بِالْفَاءِ، وَلَيْسَ فِي لِسَانِي مَا أَنْكَرُ بِهِ ذَلِكَ، غَيْرَ أَنَّ مَا يُلْمَحُ فِي هَذَا الْبَيْتِ مِنْ مَظَاهِرِ التَّعَانُقِ وَالتَّمَاثُلِ النَّصْبِيِّ الْمَعُولِ فِيهَا عَلَى تِلْكَ الْفَاءِ، أَوْلَا أَنَّهَا وَاقِعَةٌ فِي جَوَابِ شَرْطِ جَازِمٍ، مِمَّا يُؤَدِّي إِلَى لُزُومِهَا هَذَا الْمَعْنَى، لِأَنَّهَا لَا تَخْلُو مِنْهُ فِي الْجَزَاءِ، وَثَانِيًا، أَنَّهَا اسْتِحْكَامُ الشَّرْطِ حَوْلَ الْفَاءِ مُؤَدِّ إِلَى الْقَوْلِ بِعَدَمِ صِحَّةِ تَحْقِيقِهِ إِلَّا مَقْرُونًا بِالسَّبَبِ الَّذِي تَعَلَّقَ بِهِ، وَهُوَ الْجَزَاءُ.



وعليه فإن تلك الحالة من حالات بناء المعنى الجزئي من خلال ربط الجزاء بالشرط بالفاء الجزائية، متجرد من أي معنى سياقي آخر قد يحتمله النص بدون هذه الفاء، وذلك مما أراه يستدعي دلالة واحدة إلى جانب هذه السببية التي أدت بها الفاء وظيفته التأطير بين بعض تركيبين أحدهما لا يقوم معناه بغير معنى الآخر.

وقد أجزى قوله كذلك في قوله (دي بوجراند، 1998م، ص 33):

فَلَا تَرْضُ الْمَعَايِبَ فَهِيَ عَارٌّ

عَظِيمٌ يُورِثُ الْإِنْسَانَ مَقْتًا

المجرى نفسه، حيث أُلزِمَ الفاء بوصفها واسطة بين معنيين مُستوجبين للربط بينهما، سبكا لأحدهما مع الآخر، لأنهما مُتعاضدان في إطار المعنى الدلالي، فنهي عن الرضا بالمعاييب مُرتبط بكونها عارا يلحق بمن لا ينهي عنها، فجزت الفاء العاطفة معنى السببية إلى الواقع في جواب الطلب من قوله: "فهي عار"، ليلزم المخاطب أمرا لولا تعليق الطلب بالفاء ما كان ليذعن له، ومن ثمة يمكن القول بأن هذه الفاء عملت في المعنى عمل الحجة والبرهان.

ومن أدوات الربط السببي في الديوان - أيضا - استخدام "لكي" (دي بوجراند، 1998م، ص 46)

وَطُفِ الْبِلَادِ لِكَيْ تَرَى آثَارَ مَنْ قَدْ كَانَ يَمْلِكُهَا مِنَ الْأَقْيَالِ

فأمره بتطواف البلاد هنا على غير ما يُوجبُه المعنى الحرفي للفعل الأمرى، فهو صادر منه على سبيل النصح والإرشاد، ويتبين ذلك جليا من خلال النظر إلى مساق توظيف الفعل في هذا النص، إذ يستحيل على الشاعر أمر كل من بلغه خطابه، ويتمحور حول فكرة السفر وما عسى يلاقيه الإنسان فيه من التدبير والتأمل في ملك الهالكين من العظماء الذين سبقوه.

ومما يُبرزُ حقيقة النفاق الإلبري حول المعنى من أجل استغراقه للصورة المجازية التي أنطوت عليه، استعمال أحد الحروف الناصبة للمضارع، والمفيدة للتعليل، وهو (كي) فإن في إيرادها للفعل بعدها مسبوقة بالأمر (طف) مُبرر لعل أمر الشاعر لمخاطبه بالتطواف في البلاد، ذلك أنه أراد الانتفاع بما سبقف عليه من الحوادث التي لحقت بأهل تلك البلاد وملوكها وملوكها الأقيال الذين حكموها من ذي قبل.

على أن ما يجب الالتفات إليه هنا أن الإلبري لم يرد بتوظيفه لحرف العلة الناصب للمضارع (كي) معنى السببية، فالفرق بين السببية والتعليل واضح، ولو كانت لإفادة السببية لكان التركيب الموالي ل(كي)



في حُكْمِ السَّبَبِ الَّذِي لَا يَجُوزُ مَعَهُ إِحْدَاثُ الْفِعْلِ (طُف) بِدُونِهِ، عَلَى حِينِ يَأْتِي التَّلْعِيلُ لِبَيَانِ مَا أَدَّى إِلَى مَقَالَةِ الشَّاعِرِ، مِنْ غَيْرِ تَعْلِيْقٍ، وَعَلَى أَيِّ مِنَ الْوَجْهَيْنِ عَمِلَتْ (كِي) عَمَلُ الرَّابِطِ بَيْنَ الْعَلَّةِ وَمَعْلُولِهَا، فَكَانَ مَا بَعْدَهُ نَتِيجَةً عَمَّ قَبْلُهَا، وَقَدْ تَمَازَجَ التَّرْكِيبَانِ تَمَازُجًا مَلْحُوظًا عَلَى إِثْرِ هَذِهِ الْعِلَاقَةِ. وَقَوْلُهُ:

فِيستغيثون لكي يُعْتَبُوا

أَلَا لَعَا مِنْ عَثْرَةِ النَّارِ

(دي بوجراند، 1998م، ص 102)

وَذَلِكَ مِنْ تَمَثُّلَاتٍ مَشْهُدٍ مِنْ مَشَاهِدِ النَّارِ، فَاسْتِغَاثَةُ الْكَافِرِينَ فِيهَا مِنْ أَجْلِ طَلَبِ الْعُتْبَى وَالِاعْتِدَارِ، وَهِيَهَاتَ هِيَهَاتَ لَهُمْ ذَلِكَ، فَالْقَضِيَّةُ سَاعَتُنْذٍ حُسِمَتْ، وَلَعَلَّ الشَّاعِرَ أَرَادَ بِهَذَا التَّمَثُّلِ مَعْنَى مَجَازِيًّا يُحِيلُ بِهِ عَلَى صُورَةِ أَهْلِ النَّارِ؛ لِتَشَابُهِهِ بَيْنَ هُوَءٍ وَهُوَءٍ فِي النِّهَائِيَّاتِ، وَقَدْ وَظَّفَ فِي غَلِيفِ مُسْتَوَى الدَّلَالَةِ السَّبَبِيَّ (كِي) لِيُعْرَفَ بِهَا أَنَّ مُكَوَّنَ الْجُمْلَتَيْنِ مُقْضٍ إِلَى دَلَالَةٍ مَعْنَوِيَّةٍ وَاحِدَةٍ، تَرْتَبُ بَيْنَ الشَّيْءِ وَمَا انْبَتَقَ مِنْهُ عَلَى سَبِيلِ التَّلْعِيلِ، حَيْثُ إِنَّهُ يَجْعَلُ مِنْ رَغْبَتِهِمْ فِي الْعُتْبِ وَالِاعْتِدَارِ عَلَى مَا قَدَّمُوهُ سَبَبًا فِي الْاسْتِصْرَاحِ وَالِاسْتِغَاثَةِ.

كَذَلِكَ اسْتِخْدَمَ (لَأَنَّ) فِي ثَلَاثَةِ مَوَاضِعٍ مِنَ الدِّيَوَانِ، وَهِيَ (دي بوجراند، 1998م، ص 35):

وَطَوَّلْتُ الْعِتَابَ وَزِدْتُ فِيهِ لِأَنَّكَ فِي الْبِطَالَةِ قَدْ أَطَلْتَا

وَعَلَى صُورَةِ إِحْقَاقِ السَّبَبِ بِمُسَبِّبِهِ يُعْضِي بِمَكْنُونِ تَجْرِبَتِهِ فِي الْإِعْلَامِ بِأَنَّ سَبَبَ طَوْلِ عِتَابِ مُخَاطَبِهِ بِهَا الْبَيْتِ مَرْتَهَنٌ بِطَوْلِ بِطَالَتِهِ، عَلَى أَنَّهُ لَوْ لَمْ يَكُنْ عَاطِلًا عَنِ الْعَمَلِ الَّذِي يَشْغَلُهُ عَنْهُ مَا كَانَ لِيُعْتَبَ عَلَيْهِ، وَذَلِكَ مَذْمُومًا أَلْحَقَهَا بِهِ، فَإِنَّهُ يَنْتَقِضُهُ بِعِتَابِهِ عَلَيْهِ أَوْقَاتٍ تَفْرَعُهُ لَهُ، أَمَّا وَقْتُ شُغْلِهِ فَكَأَنَّمَا لَيْسَ بَيْنَهُمَا مَا يُوجِبُ الْعِتَابَ.

فَكَانَ مِنْ عَمَلِ (لَأَنَّ) فِي هَذَا الْبَيْتِ أَنْ وَضَعَتْ تَصَوُّرًا عَنِ حَقِيقَةِ هَذِهِ الْعِلَاقَةِ الَّتِي مَزَجَتْ بَيْنَ جُزْئِي الْكَلَامِ: (طَوْلِ الْعِتَابِ، وَطَوْلِ الْبِطَالَةِ)، إِذْ لَوْلَاهَا لَكَانَ الْمَعْنَى خَارِجًا عَلَى غَيْرِ مَا قُصِدَ بِهِ مِنْ مَعَانِي التَّلْعِيلِ الَّتِي هِيَ مِنْ مُكْمَلَاتِ الْمَعْنَى وَمُتَمَمَاتِ دَلَالَةِ الْخِطَابِ، وَعَمَلُ التَّلْعِيلِ فِي هَذَا النَّصِّ رَاجِعٌ إِلَى الْإِلَامِ مِنَ (لَأَنَّكَ) لِإِلَى (أَنَّ) فَلَيْسَ مِنْ عَمَلِ (أَنَّ) ذَلِكَ، غَيْرَ أَنَّهُمَا لَمَّا التَّحَمُّتًا صَارَتَا بِمَعْنَى وَاحِدٍ، مَعَ إِفَادَةِ تَأْكِيدِ الدَّلَالَةِ الْمُرَادَةِ بِالْإِلَامِ التَّلْعِيلِيَّةِ.



ومن ذلك النوع من الربط المفضي إلى تماسك النص، وإنتاج معنى جديد في إطار التعليل، قول

الإلبيري:

وَلَمْ أَجْزَعْ لِفَقْدِ أَخٍ لِأَنِّي رَأَيْتُ الْمَرَّةَ يُؤْتَى مِنْ أَخِيهِ
وَأَيَّاسَنِي مِنَ الْأَيَّامِ أَنِّي رَأَيْتُ الْوَجْهَ يَزْهَدُ فِي الْوَجِيهِ
فَأَثَرْتُ الْبِعَادَ عَلَى التَّدَانِي لِأَنِّي لَمْ أَجِدْ مَنْ أَصْطَفِيهِ

وهذا البيت مما يضارع سابقه في إرادة الإلبيري الربط بأداة التعليل (اللام) الداخلة على (أن) من قوله: "لأنني رأيت المرأ يؤتى من أخيه!"، فأحل هذه الواسطة محلاً ذا تأثير في تماسك النص جزئياً، إذ لو كان هذا التماسك كلياً لأحدثه الشاعر بين جمل متفرقة بأدوات شتى، غير أن اللام هنا كانت للربط بين جملتين يخضع معنى إحداهما لمعنى الأخرى.

وفي إبدائه لما انتابه من اليأس، يُشكّل بأداة التعليل المحذوفة (اللام) من (أنني) من عموم قوله: "وأياسني من الأيام أني..."، حضوراً دلاليّاً معوّلاً فيه على التماسك الذي أحدثته اللام محذوفة من (أنني) والانسجام الذي وضع كلاً من التركيبتين السابق على (أنني) من قوله: "وأياسني" واللاحق بها من قوله: "رأيت الوجه..."، لاشتمال يأس الإلبيري من الأيام على علة رؤيته لزهد الوجه في وجهه.

4. المَبْحَثُ الرَّابِعُ الرَّبْطُ الزَّمْنِيُّ :-

الربط الزمني هو علاقة بين جملتين متتابعتين زمنياً ويمثلها في الانكليزية لفظ (Then) وفي العربية الأدوات "الفاء، ثم، قبل، بعد، منذ، كلما، حين" (الخطابي 1991م، ص 23_ 24، ورمضان، 2006م، ص 23، وحسين، 2008م، ص 90) وبنية هذا الربط تتكون من إشراك التركيب الثاني مع سابقه وقد يتجاوز الربط فيه المظهر الشكلي للنص إلى المستوى الجمالي الذي يتكثف به النص نفسه (ينظر: حيال، 2011، ص 103) وحرف (الفاء) هو أكثر أدوات الربط الزمني وروداً في شعره وهو حرف يفيد الترتيب والتعقيب والسرعة، وقد اعتمد عليه الشاعر بصورة كبيرة في ربط أوامر النص الشعري، ويظهر ذلك في قوله (حيال، 2011، ص 39):

إِنِّي أَظُنُّكَ قَدْ دُهِبَتْ بِفَرْقَةٍ مِنْ مُؤْنِسٍ لَكَ فَارْتَمَصَتْ لِذَاكَ

على أن ما يتبعني التشبيه عليه في ذلك أن الزمنية المُستفادَة من توظيف هذه الأحرف، ليست لمطلق التعبير عن الزمن بل هي لتقييد العرب في لسانها الزمن المعين بهذه الحروف قلة وكثرة، وذلك مُستجلى في هذا البيت، ففي تعبيره عن مدى ما لحق بتلك المُخاطبة من ارتماض، معياره في القياس



أَنَّهُ نَتِيجَةٌ سَرِيعَةٌ لِفَرَقَةٍ مِّنْ تُحِبُّ مِمَّنْ كَانُوا يُؤَسِّسُونَهَا، أَمَا دَلَالَةُ الرِّبْطِ بَيْنَ الْإِرْتِمَاضِ، وَفَرَقَةِ الْمُؤَنَسِ قَلْفَاءٍ وَحَدَّهَا، وَأَمَا الدَّلَالَةُ عَلَى سُرْعَةِ مَا حَلَّ بِهَا بَعْدَ هَذِهِ الْفَرَقَةِ فَمِنْ عَمَلِ الْفَاءِ بِمَا التَزَمَهُ فِيهَا الْعَرَبُ مِنَ الدَّلَالَةِ عَلَى السَّرْعَةِ فِي مُقَابِلِ (تَمَّ) الدَّلَالَةِ عَلَى الْبَطْءِ .

وقوله (حيال، 2011، ص 42):

أَيْنَ الْجَبَابِرَةُ الْأَلَى وَرِيَاشُهُمْ قَدْ بَاشَرُوا بَعْدَ الْخَرِيرِ ثَرَاكَ
وَلَطَّالَمَا زُدُوا بِأَرْدِيَّةِ الْبَهَا فَتَعَوَّضُوا مِنْهَا رِدَاءَ رَدَاكَ
كَانَتْ وَجُوهُهُمْ كَأَقْمَارِ الدُّجَا فَعَدَّتْ مُسْجَاةً بِنُوبِ دُجَاكَ

فَإِنَّهُ يَعْطُ نَفْسَهُ وَمَنْ عَسَى يَبْلُغُهُ خِطَابُهُ، بِالزُّهْدِ وَالتَّخَشُّعِ؛ لِأَنَّ مَا أَصَابَ سَابِقِيهِمْ لَا بُدَّ مُصِيبُهُمْ، وَالْفَجْوَءُ الزَّمْنِيَّةُ بَيْنَ مَا حَدَثَ لِلْسَّابِقِينَ، وَمَا قَدْ يَقَعُ لِمُخَاطَبِيهِ مِمَّا يَتَوَجَّهُ لَهُمْ بِالْمَوْعِظَةِ مُحَدَّدًا فِي الْبَيْتِ الْأَوَّلِ بِالظَّرْفِ الْمَكَانِيِّ الْمَفْتُوحِ (بَعْدَ)، عَلَى أَنَّهَا أَفَادَتْ رِبْطًا بَيْنَ مَا أَصَابَ السَّابِقِينَ وَمَا سَيُصِيبُ الْمُخَاطَبِينَ فِي مُدَّةٍ مَا مِنَ الزَّمَنِ، غَيْرِ مَعْلُومَةٍ الْأَجْلِ طَوِيلًا أَوْ قِصْرًا، وَقَدْ انْتَضَمَ هَذَا الظَّرْفُ جُمْلَتَيْنِ، إِحْدَاهُمَا تَعَلَّقَ بِفِعْلِهَا وَقَدْ سَبَقَتْهُ، وَهِيَ: (قَدْ بَاشَرُوا... ثَرَاكَ)، وَالْأُخْرَى بِنَاوِهَا اسْمٌ مُفْرَدٌ أَضِيفَ إِلَى هَذَا الظَّرْفِ، وَهُوَ (الْخَرِيرِ).

واستخدم الشاعر - أيضًا - من ألفاظ الربط الزمنية (غداً) في كثير من المواضع، يمكن تتبع ذلك من خلال، قوله:

لَا خَيْرَ فِي كَسْبِ الْحَرَامِ وَقَلَّمَا يُرْجَى الْخَلَاصُ لِكَاسِبٍ لِحَالِ
مَا إِنْ سَمِعْتُ بِعَائِلٍ تُكْوَى غَدًا بِالنَّارِ جِبَهَتُهُ عَلَى الْإِقْلَالِ

وهو مما يضارع سائر الظروف في الربط بها بين متعلقها الذي لا بُدَّ من أن يكون فعلاً أو ما في معنى الفعل، ومُضَافٍ إِلَيْهِ مَجْرُورٍ بِهِ، وَإِنَّمَا الْقَصْدُ مُنْعَقِدٌ عَلَى الْمَجَازِ فِي كَلِمَةِ (غَدًا) فَلَيْسَ مَعْنَاهُ غَدًا الَّذِي يَتَّبِعُ يَوْمَهُ، بَلْ يَقْصَدُ بِهِ يَوْمَ الْحِسَابِ، فَهُوَ الَّذِي يَقَعُ فِيهِ الْكَيْ بِالنَّارِ لِحِبَاهِ الْكَاسِبِينَ مِنَ الْحَرَامِ. فَكَانَ لِ(غَدًا) مِنْ هَذَا النَّصِّ عَمَلًا مُنَافِيًا لِمَا قَدْ يُعْتَقَدُ فِيهِ فِي غَيْرِ هَذَا مِنَ النُّصُوصِ، لِإِتْسَاعِ الزَّمَنِ الْمُرَادِ بِهِ عَمَّا هُوَ الْحَالُ فِيمَا يُرَادُ بِهِ مِنْ مَعَانِيهِ الْحَقِيقِيَّةِ فِي اللُّغَةِ التَّقْرِيرِيَّةِ، وَكَانَ الرِّبْطُ بِهِ بَيْنَ جُمْلَةٍ مُتَعَلِّقَةٍ: "مَا إِنْ سَمِعْتُ بِعَائِلٍ تُكْوَى..."، وَمَعْنَى الْجُمْلَةِ الَّتِي تَضْمَنُ الظَّرْفَ (غَدًا) مَعْنَاهَا، فَقَدْ تَوَقَّفَ لَدَيْهِ الْكَيْ بِالنَّارِ لِمَنْ سَوَّلَتْ لَهُ نَفْسُهُ كَسْبَ الْحَرَامِ، عَلَى مَا سِيرَاهُ فِي يَوْمِ الْحِسَابِ مِنَ الْعَقُوبَةِ عَلَى ذَلِكَ.



وقد يلجأ الشاعر للمقارنة بين الزمنين الحاضر والمستقبل عبر استخدام كلمتي (اليوم) و(غداً) من أجل توضيح الفرق الكبير بين الزمنين، كما في قوله (حيال، 2011، ص 62):

وَمَا الْيَوْمُ يُمْتَارُ التَّفَاضُلُ بَيْنَهُمْ وَلَكِنْ غَدًا يُمْتَارُ فِي الدَّرَجَاتِ

فقد بيني الشعراءُ من الفجوة الزمنية بين الماضي والحاضر علاقةً نصيةً تربط بين كلامين ظاهرهما التضادُّ، وذلك ما ذهب إليه الإلبيري من قوله الأيْف، فقد عزز من دلالة امتياز الفضلاء في أزمنة تعقب أزمنة معيشتهم، فقرن بين زمنين يتصان على أن حدوث ذلك لهم مع ما هم عليه من الفضل بين أهل زمانهم مُستحيل؛ لعدم انتصار الناس لمن هو خيرٌ منهم على حياة عينه، بل ينتظرون الإفادة من علمه والشهادة له بالصلاح والفضل بعد موته أو بعد افتقاده في المكان الذي هم فيه.

ومما يظهر إطار العلاقة بين الشطر الأول من هذا البيت والشطر الثاني منه، ارتداد الظرف (غداً) بمعناه الذي تعلق به، على (اليوم) من الشطر الأول بمعناه الذي تعلق به، فإن لكلٍ من هذين الطرفين مدلولٌ يناقض الآخر؛ لإحاليته الدلالية على معنى الضدية، ولكن لوقوعهما في معنى التكرار لصاحب الفضل بفضله إلا بعد حين، جاز الجمع بينهما تحت سقفٍ واحدٍ، فأدى كلٌّ منهما دلالاته مُتصلاً اتصالاً مُباشراً بدلالة صاحبه.

الخاتمة

لقد أسهمت الدراسات اللسانية الحديثة بمختلف نظرياتها ومستويات تحليلها في التمخض عن نتائج بحثية متقدمة في ميدان البحث اللغوي والأدبي والنقدي، حيث أسفرت عن كمٍ هائلٍ وثروة لغوية مكنونة تحت عباءة الدراسات النصية القديمة والنمطية التقليدية، لم تكن لتظهر مُرادات المبدعين من الشعراء العرب في شتى أزمنة الشعر لولاها، وحيث عرض لي هنا في هذه الدراسة أن أسلط الضوء على جفنة من نماذج شعرية لأحد الشعراء المبرزين في عالمه الإبداعي، وهو الشاعر العربي الأندلسي أبو إسحاق الإلبيري، تقرر في نفسي أن أعمل نظرية الربط اللغوية في الدرس اللساني الحديث؛ لاستنباط مذهب الإلبيري الشعري، ومدى ما أحاط بجملة نصوصه المختارة للتحليل وفقاً لهذه النظرية، من معاملات تعزيز الربط بين أجزائها، والدعامات التي ارتكز عليها في صياغتها، ومدى ما حققه فيها من تناسج والتحام أدى إلى جعل هذه النصوص وحدةً واحدةً، تتكامل فيها الأجزاء وتتضامن فيها الوحدات البنائية الكبرى والصغرى؛ من أجل تحقق الوحدة والبعد عن التشظي والتفتت.



فَخَلَصْتُ مِنْ ذَلِكَ إِلَى عَدَدٍ مِنَ النَّاتِجِ الَّتِي أَرَصُهَا هُنَا رَصْدًا تَفْصِيلِيًّا، يُؤَدِّنُ بِحَقِيْقَةِ انْسِجَامِ شِعْرِهِ وَتِكَامِلِ جُمْلِهِ وَمَوَادِّ بِنَائِهِ، عَلَى نَحْوِ مَا يَلِي:

1. لَمْ يَكُنِ النَّشَاطُ اللَّغَوِيُّ الَّذِي اعْتَمَدَ عَلَيْهِ الْإِلْبِيرِيُّ بِوَصْفِهِ عُنْصُرًا أَصِيْلًا مِنْ عِنَاصِرِ الرَّبْطِ بَيْنَ مَكُونَاتِ نَصِّهِ وَبَعْضِهَا، بِالَّذِي يُحِيلُنَا عَلَى الْحُكْمِ بَانَفِرَادِ الْإِلْبِيرِيِّ فِيهِ، أَوْ بَاخْتِصَاصِهِ بِهِ، بَلْ قَدْ شَاكَلَ أَغْلَبَ شُعْرَاءِ الْعَرَبِيَّةِ فِي التَّعْوِيلِ عَلَى هَذِهِ الرَّوَاطِبِ اللَّغَوِيَّةِ.
2. إِعْمَالُ الْإِلْبِيرِيِّ لِهَذِهِ الرَّوَاطِبِ النَّصِّيَّةِ فِي مُجْمَلِ مَا وَقَفْتُ عَلَيْهِ مِنْ شِعْرِهِ لِلتَّحْلِيلِ عَلَى وَفْقِ مَا تَقْضِي الْمُمَارَسَاتُ اللَّغَوِيَّةُ فِي الرَّبْطِ بَيْنَ أَجْزَاءِ النُّصُوصِ وَبَعْضِهَا، غَيْرَ مُخْتَزِلٍ فِي جَانِبِ الرَّبْطِ وَالتَّمَاسِكِ النَّصِّيِّ - الَّذِي هُوَ نَوْعٌ مِنَ أَنْوَاعِ الْإِحَالَاتِ النَّحْوِيَّةِ التَّنْظِيمِيَّةِ - بَلْ تَجَاوَزَ هَذَا إِلَى اسْتِعْرَاقِ الْجَانِبِ الدَّلَالِيِّ بِهَذِهِ الرَّوَاطِبِ إِلَى جَانِبِ الرَّبْطِ النَّصِّيِّ بِهَا.
3. جَاءَتْ النُّصُوصُ الْمُخْتَارَةُ مِنْ شِعْرِ الْإِلْبِيرِيِّ مُعْبَّرَةً شَدْمًا تَعْبِيرٍ عَنِ طَرِيقَتِهِ فِي انْتِقَاءِ الرَّوَاطِبِ اللَّغَوِيَّةِ الْمُؤَدِّيَةِ إِلَى تَمَاسِكِ النَّصِّ وَنَسْجِ عَنَاصِرِهِ مَعًا وَصَهْرِهَا فِي تَنْوِيرِ اللَّغَةِ، بِمَا لَا يَدْعُ لِمُتَلَقِّيَّهَا شَيْئًا يَحْكُمُ مَعَهُ عَلَى هَذِهِ النُّصُوصِ أَوْ بَعْضِهَا بِالنَّقْلِ.
4. كَانَتْ اخْتِيَارَاتُ الْإِلْبِيرِيِّ لِنَمَازِجِ الرَّوَاطِبِ اللَّغَوِيَّةِ الَّتِي أُطَّرَ بِهَا لِلْعَلَاقَةِ بَيْنَ أَجْزَاءِ النَّصِّ وَبَعْضِهَا؛ لِيَخْرُجَ الْخَطَابُ فِي صَوْرَتِهِ الْمُتَمَاسِكَةِ، مُتَعَدِّدَةً بِحَسَبِ مُقْتَضَى السِّيَاقِ، وَمَا يَسْتَدْعِيهِ مَقَامُ التَّصْوِيرِ الْمُعْتَمَدِ عَلَى تَرَكَيبِ نَحْوِيَّةٍ بَعِيْنِهَا.
5. اسْتِقْصَاءُ الْإِلْبِيرِيِّ لِأَغْلَبِ الرَّوَاطِبِ النَّصِّيَّةِ وَاسْتِعْرَاقِهِ لَهَا يُعَدُّ بُرْهَانًا قَطْعِيًّا عَلَى قُوَّةِ الشَّاعِرِ وَسَعَةِ تَقَاتِفِهِ، وَقَدْرَتِهِ عَلَى امْتِلَاكِ نَوَاصِي اللَّغَةِ وَمَوَادِّ الْمُعْجَمِ الشَّعْرِيِّ الْمَعْبَّرَةِ عَنِ غَايَاتِهِ الْمُخْتَلِفَةِ وَأَعْرَاضِهِ الْمُتَبَايِنَةِ.
6. أَنَّ لِهَذِهِ الْأَدْوَابِ الَّتِي اسْتَعْمَلَهَا الْإِلْبِيرِيُّ فِي التَّأْطِيرِ لِأَجْزَاءِ النَّصِّ، سِمَةُ الْخُضُورِ فِي أَغْلَبِ نُّصُوصِ دِيَوَانِهِ، وَتَجَلَّى دَلَالَتُهَا مُخْتَلِفَةً فِي الْأَدَاءِ الْوُظَيْفِيِّ فِي كُلِّ مَرَّةٍ عَنِ سَابِقَتِهَا بِحَسَبِ مُرَادِهِ مِنَ الْخَطَابِ، مَا جَعَلَهُ يَأْتِي عَلَى أَكْثَرِ هَذِهِ الرَّوَاطِبِ.
7. أَنَّ مَا يَعْرُضُ لَنَا فِي قِرَاءَتِنَا لِنُصُوصِهِ مَحَلَّ التَّحْلِيلِ، أَنَّ الْإِلْبِيرِيَّ نَوْعٌ مِنَ الرَّوَاطِبِ النَّصِّيَّةِ؛ طَلَبًا لِلِإِحَالَاتِ بِهَا عَلَى حَالَةٍ أَوْ دَلَالَةٍ لَا تَعْرُضُ لِلْقَارِئِ مِنَ الْوَهْلَةِ الْأُولَى لِقِرَاءَةِ نُصُوصِهِ؛ لِحَرْصِهِ عَلَى إِعَادَةِ تَدْوِيرِ وَظَائِفِ وَعَمَلِ هَذِهِ الرَّوَاطِبِ بِمَا يَحْمِلُ الْمُتَلَقِّيُّ عَلَى الْإِمْعَانِ فِي مَدْعَاتِهَا.

المصادر

- [1] ابن الأبار، أبو عبدالله بن أبي بكر القضاعي البلنسي. (1995م). التكملة لكتاب الصلة. (د.ط.)





تحقيق: د. عبد السلام الهراس. دار الفكر. بيروت- لبنان.

- [2] ابن الخطيب، لسان الدين (ت776هـ). 1424هـ. الإحاطة في أخبار غرناطة. ط1. دار الكتب العلمية. بيروت- لبنان.
- [3] ابن عقيل، بهاء الدين عبد الله، (1980م). شرح على ألفية بن مالك. ط10. تحقيق: محمد محي الدين عبد الحميد. دار التراث. القاهرة- مصر.
- [4] ابو زنيد، عثمان. (2010م). نحو النص اطار نظري ودراسات تطبيقية. ط1. عالم الكتب الحديث، اردن- الاردن.
- [5] أبو غزالة إلهام وأحمد علي خليل، (1999م). مدخل إلى عالم النص، ط2، الهيئة المصرية العامة للكتاب.
- [6] الأندلسي، ابن حزم. (1962م). جمهرة أنساب العرب. تحقيق: عبدالسلام محمد هارون. دار المعارف- مصر.
- [7] البلوي، أبو الحجاج يوسف بن محمد (ت604هـ). (د.ت). ألف باء. (د.ط). تصحيح: مصطفى وهبي، المطبعة الوهبية، مصر.
- [8] الجرجاني، أبو بكر عبد القاهر بن عبد الرحمن بن محمد، (1992م)، دلائل الإعجاز في علم المعاني، ط3، مطبعة المدني بالقاهرة - دار المدني بجدة.
- [9] حسين، محمود سليمان، 2008م. أثر عناصر الاتساق في تماسك النص دراسة نصية من خلال سورة يوسف، رسالة ماجستير، جامعة مؤتة، الاردن.
- [10] الحموي، شهاب الدين أبي عبدالله ياقوت بن عبدالله (ت626هـ). (1993م). معجم البلدان. (د.ط). دار صادر. بيروت- لبنان.
- [11] الحميري، محمد بن عبد المنعم. (1975م). الروض المعطار في خير الأقطار. ط1. تحقيق: إحسان عباس. مكتبة لبنان- لبنان.
- [12] حيال، احمد حسين. (2011م). "السبك النصي في القرآن دراسة تطبيقية في سورة الأنعام". كلية الآداب، الجامعة المستنصرية. بغداد- العراق.
- [13] الخطابي محمد، (1991م). لسانيات النص (مدخل إلى انسجام الخطاب)، ط1، المركز الثقافي العربي_ بيروت.
- [14] الداوودي، زاهر بن مرهون. (2010م). الترابط النصي بين الشعر والنثر. دار جرير للنشر



والتوزيع. الأردن.

- [15] الداية، محمد رضوان. (1991م). ديوان أبي إسحاق الإلييري. ط1. دار الفكر بيروت- لبنان.
- [16] دي بوجراند، روبرت. (1998). النص والخطاب والاجراء. ط1. ترجمة: د. تمام حسان. عالم الكتب. القاهرة- مصر.
- [17] رمضان، نادية. (2006م). "علم اللغة النصي بين النظرية والتطبيق (الخطابة النبوية نموذجاً)". مجلة علوم اللغة، مج9، العدد4.
- [18] الزركلي، خير الدين بن محمود بن محمد بن علي بن فارس، (٢٠٠٢م)، الأعلام، ط15، دار العلم للملايين.
- [19] شبل، عزة. (2007م). علم لغة النص النظرية والتطبيق ط1. مكتبة الآداب. القاهرة-مصر.
- [20] الضبي، ابن عميرة (ت 599هـ). (1989). بغية الملتمس في تاريخ رجال أهل الأندلس. ط1. تحقيق: إبراهيم الأبياري، دار الكتاب اللبناني، بيروت- لبنان.
- [21] كحالة، عمر رضا. (1993م). معجم المؤلفين. ط1. مؤسسة الرسالة. بيروت-لبنان.
- [22] الوائلي، عبد الحكيم. (2001م). موسوعة شعراء الأندلس. ط1. دار اسامة للنشر والتوزيع.
- [23] *Choesion in English, Hallidy and Ruqaiya Hasan, Longman, London, 1979.*